بسم الله الرحمن الرحيم

فتية الكهف

بسم الله الذي خلق الإنسان من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أطهر الفتيان سيرة وأقومهم شبابا، حفظه الله تعالى من كل هوى وزيغ فطهره واجتباه لحمل الرسالة الخاتمة وهدى رب العالمين، فبلغ الرسالة ونصح الأمة صغيرها وكبيرها، شبابها وشيبها، رجالها ونساءها، فصلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد خلق الله تعالى الإنسان في أطوار متتالية، ومراحل متكاملة تبدأ بضعف في مرحلة الطفولة، ثم تأتي مرحلة القوة وهي مرحلة الشباب والفتوة، ثم يعود الإنسان إلى مرحلة الضعف من جديد عندما يشيخ ويتقدم في العمر. قال تعالى في كتابه العزيز"اَ۬للَّهُ اُ۬لذِے خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضُعْفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٖ ضُعْفاٗ وَشَيْبَةٗۖ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ اَ۬لْعَلِيمُ اُ۬لْقَدِيرُۖ"[[1]](#footnote-1)

هذه هي دورة حياة الإنسان بداية ضعيفة، ونهاية ضعيفة، وبينهما منزلة القوة والفتوة والطراوة وهي المسماة بمرحلة الشباب.

والشباب جمع شاب من "شَب: والشين والتاء أصل واحد يدل على نماء الشيء وقوته في حرارة تعتريه. ثم اشتق منه الشباب الذي هو خلاف الشيب، ويقال شب الغلام شبيبا وشبابا، وأشب الله قرنه.[[2]](#footnote-2)

وتبدأ هذه المرحلة من سن البلوغ الذي هو سن التكليف، إلى سن الثالثة والثلاثين أو الأربعين على أكثر تقدير.

وخصائص هذه المرحلة من عمر الإنسان متمثلة في النمو الواضح، وظهور القوة الكامنة في الجسد، وحرارته واندفاعه، وهي فترة التعلم والعمل والعطاء، فهي زهرة العمر، التي يسأل عنها المرء يوم القيامة، فعن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَنْ تزولَ قدما عبدٍ يومَ القيامَةِ حتى يُسْأَلَ عن أربِع خِصالٍ: عَنْ عمُرهِ فيمَ أَفْنَاهُ؟ وعَنْ شَبابِه فيمَ أَبْلاهُ؟ وعنْ مَالِه مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ وفيمَ أَنفَقَهُ؟ وعَنْ علْمِهِ ماذا عَمِلَ فيهِ".[[3]](#footnote-3) فخص مرحلة الشباب بالذكر تنبيها لأهميتها في حياة الإنسان، مع أن عمر الفرد يشمل كل ذلك.

ولقد ساق لنا القرآن الكريم نموذجا فريدا لشباب مؤمنين ليسوا بأنبياء ولا برسل، اعتصموا بحبل الله عز وجل واستعانوا به، فحفظهم الله تعالى وجعلهم آية للعالمين، إنهم فتية الكهف، هؤلاء الذين زانوا أنفسهم، وأدركوا طريق فلآحهم، فساروا على درب الهدى، فزادهم الله عز وجل هدى وربط على قلوبهم ونجاهم من أعدائهم عبدة الطاغوت الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، بل وأكرمهم بكرامة لبثهم نائمين ثلاثمائة سنينا داخل الكهف، ثم بعثهم على إيمانهم.

فتية آمنوا بربهم، ولم يتبعوا قومهم في عبادة الأوثان، كما لم ينساقوا للشهوات والملذات وهوى النفوس المريضة المنحرفة، اختاروا طريق الحق وسألوا الله تعالى الثبات والنجاة من الفتنة في دينهم، فأجيبت دعوتهم، وحفظ الله عليهم دينهم وشبابهم فكانوا آية من آيات الله عز وجل، وصورة للشباب الصالح المؤمن المحافظ على دينه، المستجير برب السماوات والأرض، الموقن بالبعث والحساب، قال الله العليم الحكيم"نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّۖ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ اٰمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُديٗۖ (13) وَرَبَطْنَا عَلَيٰ قُلُوبِهِمُۥٓ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ اُ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهاٗ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذاٗ شَطَطاًۖ "[[4]](#footnote-4)

وما بعثُهم على هيئتهم التي كانوا عليها من الفتوة والشباب إلا دليل على أهمية هذه المرحلة العمرية، في الاهتداء إلى الحق لسلامة فطرهم، وطهارة قلوبهم من الملوثات، وقدرتهم على تمييز الحق من الباطل، وبذل الجهد للثبات على الصراط المستقيم، فكانوا بذلك صورة واقعية وتجربة حية وقدوة صالحة لكل الشباب إلى قيام الساعة.

فزمن شباب المرء هو زمن تكليف، وعبادة لله عز وجل والتزام بالحلال واجتناب للحرام، وإكثار من أعمال الخير واتباع للهدى، وليست زمنا للعربدة والفساد، واتباع الشهوات وفعل المنكرات بدعوى أن فتوة الجسد وطراوته تستلزم ذلك، كقصة الشاب الذي استأذن الرسول صلى الله عليه وسلم في الزنا:

فعن أبي أمامة قال: إن فتىً شاباً أتى النبي فقال: يا رسول اللَّه، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا لـه: مه مه! فقال لـه: ((ادنه))، فدنا منه قريباً، قال: ((أتحبه لأمك؟)) قال: لا واللَّه، جعلني اللَّه فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)). قال: ((أفتحبه لابنتك؟)) قال: لا واللَّه يا رسول اللَّه، جعلني اللَّه فداءك. قال: ((ولا الناس يحبونه لبناتهم)). قال: ((أفتحبه لأختك؟)) قال: لا واللَّه جعلني اللَّه فداءك. قال: ((ولا الناس يحبونه لأخواتهم)). قال: ((أفتحبه لعمتك؟)) قال: لا واللَّه، جعلني اللَّه فداءك. قال: ((ولا الناس يحبونه لعماتهم)). قال: ((أفتحبه لخالتك؟)) قال: لا واللَّه جعلني اللَّه فداءك. قال: ((ولا الناس يحبونه لخالاتهم)). قال: فوضع يده عليه، وقال: ((اللَّهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه))، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء" [[5]](#footnote-5).

فبين صلى الله عليه وسلم لهذا الشاب قبح ما يطلب الترخيص له في فعله وممارسته، بأسلوب حواري راق مقنع، لا زجر فيه ولا عنف.

بل وجه الإسلام هذه الشهوة الغالبة في هذه المرحلة العمرية فشجع الشباب الذي يملك مالا على الزواج، وأرشد من ليس له مال إلى الصيام لإطفاء وهج هذه الغريزة إلى حين ميسرة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء."[[6]](#footnote-6) أي في الصوم وقاية من فعل الفاحشة.

وهذا من اهتمامه صلى الله عليه وسلم بهذه الشريحة من المجتمع، لأن في خيريتها نفع للأمة، والعكس صحيح.

وجعل الله للشاب الصالح الناشئ على رضوان الله تعالى مقاما عليا يوم القيامة، وجوائز شتى منها أنه من السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله، فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: ــ وذكر منهم ــ...، وشابٌّ نَشَأَ بعِبادَةِ اللهِ". فمرحلة الفتوة والشباب غنيمة لمن جد واجتهد، ورغب في الدار الآخرة ووطن نفسه على ما يصلحها ويزكيها من ذكر أو أنثى، وفي فتية الكهف عبرة لمن كان له قلب سليم، وإسوة حسنة لمن أراد الله تعالى والدار الآخرة، فطوبى لمن حفظ عليه ربه شبابه في الحياة الدنيا وفي الجنة، لأن الحياة الأخرى حياة بلا موت فأهل الجنة شباب لا يشيخون، فيكون نعيمهم بذلك تاما غير منقوص.

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه."[[7]](#footnote-7)

والحمد لله رب العالمين.

1. ـ الروم 53. [↑](#footnote-ref-1)
2. ـ مقاييس اللغة لابن فارس، كتاب الشين، باب ما جاء من كلام العرب أوله شين في المضاعف والمطابق "شب" ج3/ ص 177. [↑](#footnote-ref-2)
3. ـ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، من اسمه معاذ، حديث رقم 15925. [صحيح لغيره] كتاب صحيح الترغيب والترهيب

   [ناصر الدين الألباني] كتاب البعث وأهوال يوم القيامة فصل في ذكر الحساب وغيره برقم ،3593 ج3/ ص 123. [↑](#footnote-ref-3)
4. ـ الكهف 13ـ 14. [↑](#footnote-ref-4)
5. ـ [1] أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة، 5/256، 257، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى الطبراني وقال: <رجاله رجال الصحيح >، 1/129، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم 370، ج1 [↑](#footnote-ref-5)
6. ـ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم الباءة فليتزوج، برقم 4778. [↑](#footnote-ref-6)
7. ـ أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا، برقم 2836. [↑](#footnote-ref-7)